وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مركز البحوث والدراسات الإسلامية
(مبدأ)

مجلة الجامعة العراقية

مجلة علمية محكَّمة نصف سنوية

يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية

(مبدأ)

السنة العشرون العدد ٢/٣٠ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

الهيئة الاستشارية

١-أ.د.إبـــراهيم عبـــد صـــايل الفهـــداوي

٢-أ.د.محمـــــد عبيـــــد الكبيســـــي

٣-أ.د.محمـــــد صـــــالح عطيـــــة

٤-أ.د.مظفـــــر شـــــاكر الحيـــــاني

٥-أ. د.صـــــلاح نعمـــــان العـــــاني

٦-أ.د.حســـــن فاضـــــل زعـــــين

٧-أ.د.خليـــل إبـــراهيم طـــه الســـامرائي

٨-أ.د.عبـــد الهـــادي خضـــير نيشـــان

هيئة التحرير

١- أ.د.إبـراهيم عبـد صـايل الفهـداوي	رئيس هيئة التحرير
٢- أ.م.د.قتيبـــة ضـــياء ســـهيل	مديراً للتحرير
٣- أ.د.عمـــاد إســـماعيل النعيمـــي	عضواً
٤- أ.د.أحمـــد عيســـى يوســـف	عضواً
٥- أ.م.د.يـــاس حميـــد مجيـــد	عضوا
٦- أ.م.د.ضـــياء محمـــد محمـــود	عضواً
٧- أ.م.د.خولـــة عبيـــد خلـــف	عضواً
٨- أ.د.جبيـــر صـــالح حمـــادي	عضواً
٩- د.قتيبـــة عبـــاس حمـــد	عضواً ومقرراً

مجلة الجامعة العراقية/ العدد (٢/٣٠)

(٢٠١٣م)

الجامعة العراقية

الترقيم الدولي لليونسكو ISSN 1813- 4521

المتابعة: د. سلام عبود حسن

تنضيد: سوسن فائق، تبارك أحمد، هناء كاظم، أسماء جليل

تصميم الغلاف: أحمد عبد الوهاب

عنوان المراسلات:

العراق– بغداد– محلة ٣٠٨ شارع ٢٢/ الجامعة العراقية

أ.د.إبراهيم عبد صايل الفهداوي: رئيس هيئة التحرير

السيد وليد عبد الملك كتانة: مسؤول شعبة الطباعة والنشر

هاتف: ٤٢٥٤٢٥٧

فاكس: ٤٢٥٣٢٤٦

البريد الالكتروني للجامعة: islamicuniversitybag@yahoo.com

البريد الاليكتروني للمجلة: mabda_irsc@yahoo.com

ملاحظة: ما يرد في المجلة من آراء ووجهات نظر لا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير أو وجهة نظر الجامعة العراقية.

المحتويات

اسم البحث	الصفحة
١- نماذج من الأدلة الكونية على وجود الخالق وقدرته- سبحانه وتعالى- بين القرآن الكريم والعلم الحديث	
د.حمزة حسين عبيد	١- ٣٠
٢- مِنْ أَسْماءِ الأنبياءِ في القُرآنِ الكَريمِ- دراسةٌ دلاليةٌ	
د.حيدرحسين عبيد	٣١-٧٠
٣- التأويل والتفسير بين الترادف والتفريق	
م.م.ياسر عادل زينل البياتي	٧١-٩٢
٤- سورة يوسف- دراسة لغوية (الالفاظ المتفردة)	
أ.م.د.سمية عبد الجبار مديح الدوري	٩٣-١٣٦
٥- فواصل الترجي في القرآن الكريم- دراسة وصفية تحليلية	
م.م.شيماء عثمان محمد	١٣٧-١٦٦
٦- حروف المعاني وتعدد معانيها وتطبيقاتها في القرآن الكريم	
أ.م.د.حسين علي السعدي	١٦٧-٢٠٦
٧- (لا) الناهية في القرآن الكريم	
أ.د.دريد حسن احمد	٢٠٧-٢٤٢
٨- الجلوس للبيع في الطريق- دراسة فقهية	
د.عبد المنعم احمد حسين الجبوري	٢٤٣-٢٦٤
٩- تغيير الماهية وأثرها في الأحكام الشرعية	
د.ضياء يوسف حالوب	٢٦٥-٢٩٠
١٠- الاستدلال بأقل ما قيل وبعض تطبيقاته الفقهية	
د.جميل عليوي ناصر	٢٩١-٣٣٤

اسم البحث	الصفحة

١١- علاقة علم الاصول بالمسائل الاقتصادية النقود الالكترونية انموذجاً

أ.د.صبحي فندي الكبيسي..... ٣٣٥-٣٦٠

١٢- الخلاف الفقهي بين متقدمي الحنابلة ومتأخريهم- دراسة مقارنة في المذهب لبعض المسائل الفقهية

د.عبد سامي عبد الخالدي..... ٣٦١-٣٩٦

١٣- النظام القضائي والإداري في الإسلام وفق ما يراه الشيخ تقي الدين النبهاني- دراسة مقارنة

د.سرمد احمد جاسم السلماني..... ٣٩٧-٤٣٤

١٤- الطرق التجارية عند العرب

أ.م.د.عمار لبيد ابراهيم..... ٤٣٥-٤٧٢

١٥- الصحافة العراقية وقيم المجتمع المدني- دراسة تحليلية لصفحة الرأي في جريدة الصباح للفترة من ٢٠٠٤/١/١ إلى ٢٠٠٤/٠٦/٣١

م.م.واثق عباس عبد الرزاق..... ٤٧٣-٥١٠

مِنْ أَسْماءِ الأنبياءِ
في القُرآنِ الكَريمِ
دراسةٌ دلاليةٌ

د. حيدرحسين عبيد
كُليَّةُ الإمامِ الأعْظم- قِسْمُ اللُّغة العَربيَّة

المقدمة...

الحمدُ لله الذي علَّم آدم كُلَّ الأسماءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أحمدِ من في الأرض والسَّماء، سيِّدنا محمدٍ إمامِ الفصحاء وسيد البلغاء، وعلى آلهِ الأتقياء، وأصحابه النُّجباء.

أمّا بعدُ..

فليس بدعاً من القول أنْ نقول إنَّ دقة القرآن الكريم في اختيار كُلِّ لفظة مع ما يتناسب والسياق هي دقة ليس لها مثيل ولن يكون لها مثيل أبداً ما تعاقب المَلَوانِ، وذلك ما أثبته شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ/١٠٦٨م) حين وضع نظرية النظم المشهورة، التي قامت على أساس أنَّ القرآن أعجز فصحاء العرب وبلغائهم بنظمه، وممّا قاله: }وبهرهم أنهم تأملوه سورةً سورة، وعشراً عشراً، وآيةً آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح، هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأَعْجَزَ الجمهورَ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم- ولو حك بيافوخه السماء- موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخلدت القروم* فلم تملك أن تصولَ{[1]}.

وقد تكاثرت الدراسات القرآنية الدلالية منذ تدوين العلوم حتى يومنا هذا، ولم تُحِطْ على كثرتها وتنوعها بأسرار ذلك الكتاب العظيم، ولم تكد.

وقد تعددت أسماء الأنبياء والمسمى واحدٌ في القرآن الكريم، قال الخليل (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م): }وخمسة من الأنبياء ذوو اسمين: أحمد ومحمد ﷺ، وعيسى والمسيح، وذو الكفل وإلياس، وإسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، عليهم السلام وعلى غيرهم من الأنبياءَ{[2]}.

وقد يبعد من الأذهان تَصَوُّرُ أنَّ لأسماء الأعلام علاقات بالسياق، فالمركوز في الأذهان إنَّ الأسماء لا تدل إلا على مسمياتها دون أيّ معان إضافية، وقد يكون هذا الأمر صحيحاً في ما سوى كتاب الله تعالى، أمّا الكتاب المجيد فليس فيه لفظ يجيء عفواً، قطعاً.

ولذلك جاء هذا البحث ليحاول الكشف عن بعض أسرار علاقة طائفة من أسماء الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم بالسياق الواردة فيه، وهو مُتَمِّمٌ لبحثي الموسوم: (أسماء مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرآن الكريم- دراسة دلالية) وقد كانت هناك دراسات قريبة من هذه الدراسة من حيث العنوان، وإنْ كانت بعيدة من حيث المضمون، وأبرزها:

١-اشتقاق أسماء نطق بها القرآن، وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: لأبي بكر محمد بن عُزير السجستاني (ت: ٣٣٠هـ/٩٤١م): تناول فيه أسماءً كثيرة كأسماء الله تعالى وغيرها، وطريقته في الكتاب أنَّه يدرس اشتقاق الاسم ومعناه وروده في القرآن الكريم، وهو أقرب إلى الدراسة التفسيرية.

٢-أسماءٌ في القرآن الكريم: لمحمد رجب السامرائي: درس فيه المواضع والأماكن والصفات والشخصيات والنباتات والحيوانات وغيرها، وطريقته أنّه يشرح معنى الاسم لغةً، ثم يذكر وروده في القرآن الكريم، وعدد مرات وروده، ويشرح تاريخه، ويذكر تفسير كل آية لها علاقة بالاسم، وهو دراسة تفسيرية أيضاً.

٣-أسماء القرآن في القرآن: للدكتور محمد محروس المدرس الأعظمي: درس فيه أسماء القرآن الواردة في القرآن فقط، وطريقته أنَّه يفسر معنى الاسم في اللغة، ثم يتناول الآيات التي ورد فيها ويشرح معانيها في ضوء أقوال المفسرين، فهو دراسة تفسيرية أيضاً.

٤-من أسرار الأسماء في القرآن الكريم: لبسام جرار: درس فيه بعض أسماء الأنبياء، والآخرة، والظنّ وغير ذلك. وطريقته في دراسة الأسماء إنَّه يشرح معنى الاسم في اللغة باختصار، ثم يذكر مرات تكراره وتاريخه، فهو في الحقيقة: معاني الأسماء في القرآن، لا أكثر.

٥-وآخر تلك الدراسات: من أسماء النبي الأمين- محمد أحمد- في الكتاب العربي المبين: لأبي يوسف محمد زايد: وهو لم يختلف كثيراً عّما سبقه من دراسات في طريقة تناوله الأسماء.

غير أنّني لم أجد دراسة تتناول الأسماء المختلفة للمسمى الواحد وتُبَيِّن الغاية الدلالية التأثيرية لكلّ اسمٍ في المقام الوارد فيه.

والفرق بين الدراسات التي مرَّ ذكرها آنفاً وهذا البحث، إنَّ هذا البحث يدرس دلالة الاسم وعلاقته بالسياق الوارد فيه، ويحاول الكشف عن دقة القرآن الكريم في استعمال الاسم موافقاً للسياق والمقام، والعلاقة بين اختيار كل اسم والجوّ العام للآيات، وأثر كلّ اسم في رسم أجواء الآيات وبثّ الظِّلال الإيحائية فيها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: أسماء نبيِّنا محمد ﷺ.

المبحث الثاني: أسماء سيّدنا عيسى عليه السلام.

المبحث الثالث: أسماء سيّدنا يونس عليه السلام.

المبحث الرابع: ذُو الكِفل وإلْياسُ.

إنَّ هذه الصفحات تُحاول وضع اليد على شيء من اللمسات الأسلوبية الجمالية في اختيار أسماء بعض الأنبياء في ذلك الكتاب الكريم؛ لتُثبت أنَّ الإعجاز البياني حقّاً هو في اختيار كلّ لفظ وحرف، وإنَّ الاسم له دور في رسم الصورة الفنية القرآنية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأوّل
أسماءُ نبيّنا مُحمَّد ﷺ

ذكر العلماء لنبينا مُحَمَّدٍ ﷺ أسماءً كثيرة، قالوا: }وكثرة أسماء النبي ﷺ دلَّت على علوِّ رتبته، وسموِّ درجته{[٣].

فمنهم من جعلها ثلاثمائة، ومنهم من أوصلها إلى ألف اسم[٤]، في حين قال السيوطي: }وقد تتبعتُ أسماء النبي ﷺ فبلغت نحو أربعمائة{[٥].

وسنتناول أشهر أسمائه ﷺ المتفق عليها، التي صرح بها القرآن الكريم، وهما: أحمد ومحمد، علماً بأنَّ أسماء كل المخلوقات مجرد إعلام إلا أسماءه ﷺ فهي أعلام وأوصاف، قال القاضي عياض: }وقد سمَّاه الله تعالى في كتابه: مُحَمَّداً وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أنْ ضَمَّنَ أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره، عظيمَ شكره{[٦].

الاسم الأوّل- أحْمَد.

أَمَّا أحمد فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[٧]. قال ابن فارس: }الحاء والميم والدال كلمةٌ واحدةٌ، وأصلٌ واحدٌ يدل على خلاف الذَّمِّ، يقال: حمدتُ فلاناً أحمده{[٨].

في حين قال البغوي: }والألف في أحمد للمبالغة في الحمد، وله وجهان:

- **أَحدهما:** إنَّه مبالغة من الفاعل؛ أي: الأنبياء كلهم حَمّادون الله عز وجل، وهو أكثرهم حمداً.
- **والثاني:** إنَّه مبالغة في المفعول؛ أي: الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة، وهو أكثرهم مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها﴾[٩].

وقد بين الراغب الأصفهاني الحكمة من اختيار هذا الاسم في هذا الموضع فقال: }وخص لفظة (أحمد) فيما بَشّر به عيسى ﷺ تنبيهاً إنَّه أَحْمَدُ منه، ومن الذين من قبله﴾[١٠].

ويبدو لي- فضلاً عمَّا ذكره الأصفهاني- إنَّه اختار لفظة أَحْمَد دون غيرها؛ لما يأتي:

١-إنَّ سيدنا عيسى عليه السلام كان في مقام التبشير (مبشراً) والبشارة تستلزم ذكر أعظم صفات المُبَشَّر به، وهي كونه هنا أَحْمَدَ من سيدنا عيسى وَمِنْ كُلِّ مَنْ سواه من المخلوقين، ولم يكُ سيدنا عيسى في مقام الإخبار فقط، إذ لو كان في مقام الإخبار والتعريف لذكر نبينا باسمه (محمد) فَنَبِيُّنا محمد ﷺ لم يُعرف بمكة قبل البعثة إلا باسم (محمد).

٢-روي في سبب نزول هذه السورة عن عبد الله بن سلام قال: }**تذاكرنا أيُّكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أيُّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى عملناه؟، فأنزل الله تعالى:** ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ إلى **آخر السورة فقرأها علينا رسولُ الله**﴾[١١]، فكأنَّ القرآن الكريم أراد أن يخبرهم بأنَّ اتباع ما جاء به ذلك الرسولُ الأعظمُ حَمْداً على الإطلاق هو أفضل الأعمال، يؤكد ذلك ما جاء بعدها من آيات، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١٢].

٣-في السورة بشارة بعلوِّ دين الإسلام على ما سواه: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[١٣]، وبشرى بظهور المسلمين على عدوهم: ﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[١٤]، فناسب ذلك أن يذكر تفضيل النبي على من سواه بأفعل التفضيل: أحمد؛ لعُلوِّ منزلته على من سواه.

٤-افتتحت السورة ببداية قوية بذمِّ الذين يقولون ما لا يفعلون، و شنّعت عليهم فعلهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١٥].

فناسب أن يذكر ما يقابل ذلك من صفة النَّبِيِّ الأكثر حَمْداً، وقطعاً لا يُحمد أَحَدٌ ما لم يكن له فعلٌ، كما له قول، وهكذا كان ﷺ.

الاسم الثاني: مُحَمَّدٌ.

وأَمَّا مُحَمَّد فهو الاسم الذي أطلقه عبدُ المطلب على نبينا الأكرم ﷺ، وهو الاسم الذي عُرف به قبل البعثة، وظلَّ أشهر أسمائه بعدها.

قال ابن فارس: }وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمُحَمَّدٌ، إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ غَيْرُ الْمَذْمُومَةِ. قَالَ الْأَعْشَى يَمْدَحُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ فَضَّلَهُ بِكَلِمَتِهِ هَذِهِ عَلَى سَائِرِ مَنْ مَدَحَهُ يَوْمَئِذٍ:

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا ... إِلَى الْمَاجِدِ الْقَرْعِ الْجَوَّادِ الْمُحَمَّدِ

وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سُمِّي نَبِيُّنَا مُحَمَّدًا ﷺ{[١٦]}.

وقال محمد بن يوسف الصالحي: }وهو في الأصل اسم مفعول منقول من صفة الحمد، وهو بمعنى محمود، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا هو حقيقة الحمد، وبُني على زنة مُفَعَّل بتشديد العين مثل مُعَظَّم، ومُبَجَّل؛ لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتقَّ منه اسمُ فاعل فمعناه مَنْ كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة، كَمُعَلِّم ومُفهِّم ومفرِّح، وإن اشتق منه اسم مفعول فمعناه من تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق الحمد، إمّا استحقاقاً أو وقوعاً، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد مرة{[١٧]}.

وأمَّا الفرق بين مُحَمَّد وأحمد فقد قال عنه المباركفوري: } فأمَّا مُحَمَّد فمن باب التَّفعيل للمبالغة، وأمَّا أحمد فمن باب التفضيل{[١٨]}.

قلتُ: ولمَّا كان المقامُ في سورة الصف مقام التفضيل: تفضيل سيدنا مُحَمَّد ﷺ على سيدنا عيسى ومن سواه، وتفضيل شريعته ﷺ على سائر الشرائع، ونصر أتباعه على سائر الأمم، جاء باسم أحمد.

وأمَّا مُحَمَّدٌ فقد ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

الأول: قولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[١٩]، لمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: قَدْ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ فَأَعْطُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ كان محمد قد أُصِيبَ، أَلَا تَمْضُونَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ حَتَّى تَلْحَقُوا بِهِ؟، فأَنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ ﴾[٢٠]، قال الثعلبي: }ومُحَمَّدٌ هو المستغرق بجميع المحامد؛ لأنَّ الحمد لا يستوجبه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه إلا المستولي- على الأمد- في الكمال{[٢١].

وبناء على ما مر فإنَّه يبدو لي إنَّه استعمل لفظة (محمد) هنا ليقول للمؤمنين: إنْ مات ذلك الإنسان العظيم (مُحَمَّدٌ) فإنَّه رَجُلٌ قد استوفى جميع المحامد، فهو مُحَمَّدٌ على الدوام، حمده أهلُ الأرض والسماء مذ كان، واستمروا على حمده والثناء عليه، ولكن أين دوركم أَنتم في إكمال نشر رسالته؟! وماذا صنعتم لأنفسكم من المحامد؟ هذا من جانب المؤمنين.

وأَمَّا من جانب المنافقين فيظهر لي إنَّه أراد مخاطبتهم ببساطة على قدر عقولهم، فكأنه قال لهم: ذلك الإنسان النبي العظيم الستكمل صفات الحمد المسمى عندكم(محمد) الذي سمَّاه أهله بذلك هو نبي من البشر كسائر الأنبياء، وسيلتحق بربه كما التحقوا به.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢٢]، فقد كان زيد بن حارثة حين مَنَّ اللهُ ورسوله عليه،

يقال لـه: زيـدُ بـن مُحَمَّـد، فقـد كـان تبنَّـاه فقـال الله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[٢٣]؛ أي: على الحقيقة حيث يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها[٢٤].

ويبدو أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظة مُحَمَّد هنا لما يأتي:

١- رداً على من كانوا يقولون: زيد ابن مُحَمَّد، ليكون الردُّ عليهم بنفس اللفظ الذي أطلقوه.

٢- إنَّ الآية في سياق بيان حكمٍ شرعيٍّ في الأحوال الشخصية، فلابد فيه من الوضوح التام في تسمية الأشياء بمسمياتها، ولاسيما أطراف القضية الصادر لهم الحكم؛ ولذلك نراه قال قبل هذه الآية: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[٢٥].

وزيد هو الصحابي الوحيد المذكور باسمه في القرآن الكريم صراحة؛ لأنَّ المقام يتطلب ذلك، ولهذا سمى نبينا باسمه المشهور المعروف، وليس المقام هنا مقام تفضيل لسيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ كما في سورة الصف.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[٢٦]، قال سيد قطب رحمه الله: }هذه السورة مدنية، ولها اسمٌ آخر اسمها سورة القتال، وهو اسمٌ حقيقيٌّ لها، فالقتالُ هو موضوعها، والقتالُ هو العنصر البارز فيها، والقتالُ في صورها وظلالها، والقتالُ في جرسها وإيقاعها.. القتالُ موضوعها فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين امنوا، مع إيحاء بأَنَّ اللهَ عدوٌّ للأولين، وليٌّ للآخرين، وإنَّ هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه، فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول للسورةَ[٢٧].

ثم قال: }والإيمان الأول يشمل الإيمان بما نزل على مُحَمَّد ولكن السياق يبرزه ويظهره ليصفه بصفته ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ويؤكد هذا المعنى ويقرره، والى جوار الإيمان المستكنّ في الضمير، العمل الظاهر في الحياة وهو ثورة الإيمان الدالة على وجوده وحيويته وانبعاثه، وهؤلاء كفر عنهم سيئاتهم مقابل إبطال أعمال الذين كفروا، ولو كانت حسنات في شكلها وظاهرها وبينما يبطل العمل ولو كان صالحاً من الكافرين فإنَّ السيئة تغفر للمؤمنين، وهو تقابل تام مطلق ويبرز قيمة الإيمان وقدره عند الله وفي حقيقة الحياة..َ وأصلح بالهم }فإصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، والتعبير يلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام، ومتى صلح البال استقام الشعور والتفكير، واطمئن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام... وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟ إلا إنَّه الأفقُ المشرق، الوضيء الرفافَ[٢٨].

ويبدو لي إنَّ لفظة مُحَمَّد هنا هي الأنسب لما يأتي:

١- إنَّ الجرس القويّ الذي تميّزت به معظم الألفاظ القوية في السورة كان لا بد لها من اسمٍ جرسه قويّ، يتناسب مع إيحاءاتها القويَّة، ولو تأمَّلنا اسم (مُحَمَّد) لوجدنا فيه تلك القوة فالميم حرفٌ شفويٌ مجهور، وفي حرف الحاء بحة، ثمَّ الميم المشددة التي تستمد قوتها من جرسها وتشديدها، ثم الدال وهو حرف مجهورٌ انفجاري، وليس في لفظة (أَحْمد) مثل هذه الموسيقى، بل موسيقاه هادئة وادعة حالمة.

٢- ليس في السورة أيّ مقارنة بين نبينا مُحَمَّد ﷺ وبين أَحَدٍ سواه من الأنبياء كما في سورة الصف، وليس هناك ذكر لأيِّ نبيٍّ سواه في السورة كلها.

٣- في السورة حثٌّ متواصلٌ على طاعة النبي ﷺ واتباعه، وبيان العاقبة القوية لذلك، يتلوه في كلِّ موضع بيانُ العاقبة القوية لعصيانه والخروج عن منهجه، ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٢٩].

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[٣٠].

فناسب ذلك أن يذكر اسم النبي ﷺ بوصفه (مُحَمَّد) الذي حُمِدَ مرة بعد مرة، ترغيباً في اتباعه، وثناءً عليه وتعظيماً له.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[٣١]، قال ابن كثير: }يخبر تعالى عن مُحَمَّد ﷺ أَنَّه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، فقال: (مُحَمَّدٌ رسولُ الله) وهذا مبتدأٌ وخبرٌ، وهو مشتمل على كلِّ وصفٍ جميل{[٣٢].

وقد أشار العلماءُ إلى الغاية من استعمال هذا الاسم الشريف هنا، فقد قال الراغب الأصفهاني: }فمُحَمَّدٌ هنا- وإنْ كان من وجهٍ اسماً له علماً- ففيه إشارة إلى وصفه بذلك

وتخصيصه بمعناهﷺ[٣٣]، وذكر السيوطي أنَّ الغاية من التعريف بالعلمية هنا }لإحضاره بعينه، وفي ذهن السامع ابتداءً يختص بهﷺ[٣٤].

وقال الدكتور محمود توفيق: }إنَّ الله- سبحانه وتعالى- هو الذي سَمَّى خاتم المرسلين- ﷺ- مُحَمَّداً، وهي تسمية دالة على حقيقته وكنهه، وجاء قول الله سبحانه وتعالى: (مُحَمَّدٌ رسولُ الله): جامعاً ما هو كاشف عن حقيقة مُحَمَّدٍ، وما هو كاشف عن وظيفته رسول اللهﷺ[٣٥].

والذي أميلُ إليه إنَّه ذكر هنا اسم مُحَمَّدٍ لما يأتي:

١-لمدحه والثناء عليه وتعظيمه؛ لأنَّ الآية كلها مدح لأتباعه الذين نالوا ذلك الثناء العظيم باتباعهم له، والمدح للتابع هو مدحٌ للمتبوع، ولكن نبينا ﷺ انطوت محاسنه وصفاته العظيمة في لفظة مُحَمَّد.

٢-قد تكون فيها إشارة إلى أَنَّه مُدح وحُمد مرة بعد مرة في الكتب السالفة، وَذِكْرُ ذلك الحمد باسمه، يدلنا على ذلك ما قاله الفيروز آبادي: }واسمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الإنجيل: طاب طاب؛ أي: طيِّب. وفي التوراة: ماذ ماذ؛ أي: المَرْجُوّ. وفي الزبور: فار قليطا؛ أي: الفارقُ بين الحقِّ والباطل، وفي صحف إبراهيم: اخرايا قدماً؛ أي: السّابقُ الآخر، وفي صحف شيت: صام صام؛ أي: القَطَّاعُ بالحجة...ﷺ[٣٦].

المبحث الثاني
أسماءُ سيِّدنا عيسى عليه السلام

ورد ذكر سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة، في ست صور:

الأولى: عيسى: تسع مرات.

والثانية: عيسى ابن مريم: ثلاث عشرة مرة.

والثالثة: ابن مريم: مرتان.

والرابعة: المسيح: ثلاث مرات.

والخامسة: المسيح ابن مريم: أربع مرات.

والسادسة: المسيح عيسى ابن مريم: ثلاث مرات.

الاسم الأوَّل- عِيْسَى.

أشار الخليلُ إلى أنَّ عيسى مشتق من العَيَس، والعَيَسَة وهو لون أبيض مشرب صفاءً في ظلمة خفية، يقال: جملٌ أعيسٌ وناقةٌ عيساء، والعرب خصت بالعيس عراب الإبل البيض خاصة. وياء عيسى زائدة؛ لأنه شبه فعلى، وعلى هذا القياس موسى[٣٧]، لكنَّ البيضاوي ذكر أنَّ ذلك تكلفاً لا طائل تحته[٣٨].

وقال ابن عادل: }فمن قال إنَّ عيسى مشتقٌّ من العيس وهو بياضٌ تخالطه شقرةٌ ليس بمصيب ؛ لأنَّ الأعجمي لا يدخله اشتقاقٌ، ولا تصريفٌ{[٣٩].

قلت: وأياً يكن الصواب، فالذي نخلص إليه أنّ اسم (عيسى) هو عَلَمٌ على ذلك النبي الكريم، وهو اسمه المفرد الأصلي الذي عُرف به واشتهر.

ومن خلال استقرائي الآيات التي ورد فيها هذا الاسم مفرداً نجده:

١- يذكر مفرداً إذا لم يكن الكلام منصباً على ذكر عيسى عليه السلام كَأَنْ يرد ذكره عند سرد أسماء طائفة من الأنبياء فيذكرهُ معهم على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[٤٠]، فليس المقام هنا مقام بيان لنشأة عيسى أو بيان مكانته والثناء عليه، أو الدفاع عنه، ولكنَّ ذكره كان عابراً؛ لأنَّ المقام مقام دعوة للإيمان بالأنبياء جميعاً، لا غير.

قال ابن كثير: }أَرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أُنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأَن لا يفرقوا بين أَحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم{[٤١]، فتلك الأسماء العظيمة لأولئك الأنبياء الكرام واحدة من حيث وجوب الإيمان بكل منها، فلو ذكر مثلاً لقب تعظيم لسيدنا عيسى عليه السلام لصارت له مزية عمن سواه وليس المقام هنا لبيان مزيته على من سواه.

٢- أو يكون ذكره والثناء عليه قد تقدم تفصيلاً، فيذكر باسمه لبيان تجرده وانفراده، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[٤٢]، فقد تقدم الثناء عليه وذكر معجزاته، ومنها قوله

تعـــالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[٤٣]، فـذكره هنـا باسمه المجرد- مـع ذكره للأنصـار- للإشـارة إلـى تجـرّده عـن الأنصـار، أو شـعوره بـذلك الانفراد، أو ليؤكّد على أنَّه بشر، وليس بإله، وإنَّه متجرّد عن الحول والقوّة إلا ما شاء الله.

٣- أو يكون في مقام المقارنة، وذكر المثل؛ للرَّدّ على الذين يقولون بألوهية عيسى عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤٤]، فكما ذكر آدم عليه السلام مجرداً، ذكر عيسى مجرداً، كما أنَّ المقام مقام بيان قدرة الله على الخلق، لا مقام الثناء على أحد النبيين.

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية: أنَّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا؟

قال: وما أقول؟

قالوا: تقول: إنَّه عبد.

قال: أجل إنَّه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول.

فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإنْ كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٤٥].

ولنـا هنـا وقفـة أخـرى ففـي الآيـة تشـبيه خلـق عيسـى بخلـق آدم عليهمـا السـلام، والإنسان عند خلقه يكون مجرَّداً من كلّ شيء، من الحول والقوة، وحتى من ثيابه، وفي ذلك تأكيد قويّ على مخلوقية عيسى عليه السلام.

الاسم الثاني- عِيْسَى بنُ مَرْيَم.

وَأَمَّا استعمال اسم (عيسى) مضافاً إلى مريم فله مواضع أيضاً، نبينها في ضوء الآيات الآتية:

١-قـال تعـالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾[٤٦]، قال الطبري: }قال ابن عباس: وآتينا عيسى ابن مريم البينات؛ أي: الآيات التي وضع على يديه: من إحياء الموتى، وخلقه

من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يدّخرون في بيوتهم، وما رد عليهم من التوراة، مع الإنجيل الذي احدث الله إليه، (وأيدناه بروح القدس)؛ أي: قويناه فأعنّاه[٤٧].

٢-قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٤٨]، من الآيتين السابقتين يظهر لنا أنَّ القرآن الكريم يصرح بـ(عيسى ابن مريم) في المواضع التي يُثني فيها على سيدنا عيسى عليه السلام بذكر معجزاته؛ لأنَّ ذلك الاسم متضمن أصلاً لمعجزة، وهي معجزة ولادته عليه السلام من غير أب، وهي معجزة عظيمة تخصُّ أصل وجوده في هذا العالم، فكأنه سبحانه حين يشرع بتعداد نعمه سبحانه عليه يبدأ بأصل تلك النعم وأولها وهي إظهاره إلى الوجود بواسطة تلك المعجزة العظيمة.

ولو مضينا في قراءة الآيات لوجدنا قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[٤٩]؛ أي: يا من كان ظهوره إلينا بمعجزة عظيمة بولادته من أمٍّ وبلا أب، ادعُ الله أنْ ينزل علينا مائدة معجزة منه، كما أنَّ وجودك بحد ذاته معجزة.

ويبدو لي سبب آخر لإضافة عيسى إلى مريم في هذه الآيات بالذات، فإنَّ فيها تقريعاً عظيماً لمن عبدوا عيسى وأمَّه، فكأنه سبحانه يقول لهم: إنَّ عيسى مخلوق والدليل على ذلك إنَّه ابن؛ أي: مولود، والإله لا يولد، وكذلك أمُّه مخلوقة، والإله لا يلد، ولا يولد، ولنتأمَّل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٥٠]؛ ليظهر لنا ذلك.

٣-وهكذا في سورة مريم التي تضمنت تفاصيل ذكر حمل مريم بعيسى وولادتها له فإنَّه تعالى قال: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٥١]، فقال عيسى ابن مريم رداً على الزاعمين بأنَّه إلهٌ، أو كونه وأمُّه إلهين.

الاسم الثالث- المَسيْح.

أمَّا المسيح فهو لفظٌ ذكر ابن الأنباري في سبب إطلاقه، سبعة أقوال[٥٢]:

١- لأنَّه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، ولا يضع يده على شيء إلا أُعطي فيه مراده

٢- المسيح: الصِّدِّيق.

٣- لأنَّه كان يمسح الأرض؛ أي: يقطعها.

٤- لأنَّه كان أمْسَحَ الرِّجلِ، لا أخمصَ له.

٥- لسياحته في الأرض.

٦- لأنَّه خرج من بطن أُمِّه ممسوحاً بالدهن.

٧- إنَّ أصله بالعبرانية (مشيحا) بالشين فلمَّا عرَّبته العرب أبدلت من شينه سيناً، فقالوا المسيح، كما قالت العرب (موسى)، وأصله بالعبرانية (موشى).

وقال ابن فارس: }الميم والسين والحاء أصلٌ صحيحٌ وهو إمرارُ الشيء على الشيء بسطاً... وعلى فلان مسحةٌ من جمال، كأنَّ وجهه مُسِحَ بالجمال مسحاً؛ ولذلك سُمِّي المسيح عليه السلام مسيحاً{[٥٣].

قال الزمخشري: }المسيحُ لقبٌ من ألقابه المُشَرَّفة كالصِّدِّيق والفاروق، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه المبارك{[٥٤].

وقال الفيروز أبادي: }وذكرتُ في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لصحيح البخاري{[٥٥].

والذي أَميل إليه هو قول الزمخشري بأنَّ المسيحَ لقبُ تشريفٍ، وأرى إنَّهُ يخصّ الأمور المعنوية لا المادية، أَعني: إنّي لا أميل إلى أنَّ سبب تسميته بذلك هو كونه أَمْسَحَ الرجل أو ولد مدهوناً أو لسياحته في الأرض، وإنما لكونه مباركاً حُفَّ بالمعجزات والكرامات؛ وذلك لأمرين:

- **أحدهما:** إنَّ هذا اللقب لم يرد إلا في مواضع تعظيمه في القرآن الكريم، كما سيأتي بيانه.

- **والآخر:** إنَّ مجرد إيراد القرآن الكريم لهذا اللفظ، فإنَّه يدل على صفة مدح ذاتية، لا خَلْقِيَّة، إذ ليس من منهج القرآن مدح إنسان لجماله، أو لبيان صفة خلقية فيه.

ويبدو لي إنّه استعمل هنا المسيح عيسى ابن مريم، ولم يقل المسيح مثلاً، أو عيسى فحسب؛ لأنَّ المقام هنا مقام بشارة من الله لمريم والبشارة تتطلب ذكر كلّ ما يدخل السرور على النفس من الصفات الكريمة المحمودة للمبشر به، فقال: المسيح، ثمَّ قال: عيسى؛ ﴿لِيُعَلِّمَ مريم اسمه الذي سمَّاه به ربه؛ وقال ابن مريم ليعلمها أَنَّه سيولد معجزةً بلا أب.

وقد استعمل هذا اللفظ في القرآن الكريم في أربع صور: (المسيح- المسيح عيسى ابن مريم- المسيح ابن مريم- المسيح عيسى ابن مريم رسول الله).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٥٦)، **روي إِنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ تَعِيبُ صَاحِبَنَا؟ قَالَ: }وَمَنْ صَاحِبُكُمْ؟ۚ قَالُوا: عِيسَى، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ فِيهِ؟ }قَالُوا تَقُولُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُۚ، فَقَالَ لَهُمْ: }إِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ لِعِيسَى أن يكون عبد اللهۚ، قالوا: بلى، فَنَزَلَتْ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ۚ الآيَةَ** (٥٧).

قال الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م): }إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَقَامَ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ابْنًا لَهُ أَشَارَ بَعْدَهُ إلى حِكَايَةِ شُبْهَتِهِمْ وَأَجَابَ عَنْهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّبْهَةَ الَّتِي عَلَيْهَا يُعَوِّلُونَ فِي إِثْبَاتِ أَنَّهُ ابْنُ اللَّه هُوَ أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ وَكَانَ يَأْتِي بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِبْرَاءِۚ(٥٨).

وبناء على ما مرَّ، فإنَّه يبدو لي أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظة المسيح هنا لما يأتي:

١-أراد أن يخبر هؤلاء القوم بأَنَّ (عيسى) مع إنَّه: (المسيح)؛ أي: المبارك صاحب المعجزات الكبيرة والمنزلة التي ذكرتم- إلا أَنَّه لن يستكبر عن عبادة الله، بل تشرف كونه عبداً له؛ وذلك لأنَّ عقول هؤلاء القوم كانت قد حدثتهم بأَنَّ من كانت له تلك المعجزات فلابد أن يكون إلهاً، وهذان الأمران- المعجزات والإلوهية- متلازمان تلازماً حتمياً في أذهانهم، فأراد القرآن الكريم أن يفك ذلك التلازم، فينفي بقوة كونه إلهاً، ويثبت بشدة معجزاته وكراماته، فيطلق عليه لقباً فيه بيان كريم منزلته: فيقول: المسيح.

٢- هذه الآية كانت خاتمة طائفة من الآيات ذكر القرآن الكريم فيها أفعال النصارى وكفرهم، وقد تقدم ذكر عيسى أكثر من مرة باسمه ولقبه ودرجته في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾[٥٩]، وسنأتي عليها قريباً إن شاء الله، فاكتفى هنا بأحدها تلويناً في الخطاب.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦٠]، وهنا نلاحظ الفرق بين هذه الآية والآية السابقة، ففي الآية السابقة استعظم النصارى أن يكون عيسى عبداً لله، وهنا قالوا هو الله، فالأسلوب أقوى والمقام يحتاج إلى شدة وقوة في التعبير؛ ولذلك لم يقولوا: المسيح بلقبه المتضمن محاسنه فحسب وإنّما أشاروا إلى معجزة أصل ظهوره للدنيا وهي كونه ابن مريم.

وقد كان رد القرآن الكريم عليهم بنفس بالقوة نفسها والأسلوب نفسه، واللفظ نفسه، ومما يدلنا أيضاً على أنَّ في السياق شدة، قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[٦١]... فَذِكْرُ الهلاك في الخطاب فيه شدة، وحاشا لله أن يهلك نبياً.

ولعلّ من غايات ردّ القرآن عليهم باللفظ نفسه (المسيح ابن مريم) أنَّه أراد أن يفضح التناقض الذي يتَّسمون به، فهم يقولون (ابن مريم) فهو ابن؛ أي: مولود، ثم يقولون هو الله، فكأنَّه يقول لهم: عجباً! تقولون ابن مريم، ثمَّ تقولون: هو الله!!!

وقد يجمع القرآن الكريم بين لقبه واسمه ودرجته، وذلك في قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٦٢].

ويبدو لي إنَّه ذكر ذلك على لسانهم ليبين أنَّهم مصرون على أنَّهم قتلوه، ويشير إلى أنهم كانت لهم محاولات مستمرة لقتله مع تبييت النية لذلك، ولمّا أرادوا التأكيد على معتقدهم ذكروا عيسى بلقبه واسمه ودرجته؛ لئلا ينصرف الذهن إلى غيره، أو يبقى لدى السامع شك في قتلهم إيّاه، فقالوا: إنَّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله.

ولذلك فإنَّ القرآن الكريم بعد أن جادلهم وفنَّد مزاعمهم ردَّ عليهم بقوة الأسلوب نفسها، فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾(٦٣).

المبحث الثالث
أسماء سيّدنا يُونس عليه السلام

الاسم الأوّل- يونُس.

من خلال تأمّل الآيات التي ذكر فيها سيدنا يونس عليه السلام باسمه ظهر أنَّها إمّا أن تكون في سياق ذكر تفاصيل دعوته، أو في سياق سرد أسماء الأنبياء، ومن ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾(٦٤).

فالسياق هنا يُركِّز في تفاصيل دعوة سيدنا يونس عليه السلام فليس من الملائم: أن يُكنِّي عنه كما لو كان المقام مقام اختصار، وكان المناسب أن يذكره باسمه ليتعرف به تعريفاً لا يمكن أن ينصرف الذهن إلى غيره.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾(٦٥)، فإنَّ الكلام هنا ليس منصباً على يونس، وإنّما هو ذكر لقومه فأضافهم إليه ليتعرفوا؛ لأنَّ الإضافة هنا تفيد التعريف، أو الغاية منها التعريف، قال سيد قطب: }ولا يُفصِّل السياق هنا قصة يونس وقومه، إنَّما يشير إلى خاتمتها هذه الإشارة؛ لأنَّ الخاتمة وحدها هي المقصودة هنا، فلا نزيدها نحن تفصيلاً، وحسبنا أنْ ندرك أنَّ قوم يونس كان عذاب مخز يتهددهم، فلمّا آمنوا في اللحظة الأخيرة، قبل وقوعه، كشف عنهم العذاب، وتُركوا يتمتعون بالحياة إلى أجلٍ{(٦٦).

إذن الكلام عن قوم النبيّ، لا عن النبيّ.

ب- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[٦٧]، فالسياق هنا في سرد أسماء الأنبياء للتعريف بهم ولذلك ذكرهم بأسمائهم ليُعَرِّف الناس بهم، يدلنا على ذلك سبب نزول الآية، فقد ذكر الطبري أنَّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ لأنَّ بعض اليهود لمَّا فضحهم الله بالآيات التي أَنزلها على رسوله، قالوا: ما أَنزل الله على بشر من شيء من بعد موسى، فأَنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم وأَخبر نبيه والمؤمنين به أَنَّه قد أَنْزل عليه بعد موسى وعلى من سمّاهم في هذه الآية، وعلى آخرين لم يُسمهم[٦٨].

الاسمُ الثاني- ذُو النّون.

وأَمَّا ذو النون فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٦٩]، قال الراغب الأصفهاني: }والنون: الحوت العظيم؛ وسمي يونس ذا النون في قوله (وذا النون)؛ لأنَّ النون كان قد التقمهج[٧٠].

وقال سيد قطب: }وقصة يونس تأتي هنا في صورة إشارة سريعة مراعاة للتناسق في السياق، وتفصل في سورة الصافاتج[٧١].

وأنا أميل هنا إلى أنَّ سبب اختيار (ذو النون) هنا وقع لسببين:

- **أحدهما:** ما أشار إليه سيد قطب من أنَّ المقام مقام اختصار وإشارة بإيجاز إلى تلك القصة، لا مقام تفصيل، ويدلنا على ذلك سياق الآيات التي ورد فيها، فقد ذكرت تلك الآيات من سورة الأنبياء قصص طائفة من الأنبياء بإيجاز، منها قصة سيدنا أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[٧٢]، فاختصرت القصة بآيتين فحسب، بل لقد طوى ذكر أكثر من نبي بآيتين فحسب قال تعالى: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ

﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧٣]... وغيرها كقصة زكريا، ومريم عليهما السلام.

وقد يقال: إذا كان المقامُ مقامَ اختصارٍ، فلم لم يَقُلْ (يونس) وهي كلمة واحدة بدلاً من (ذا النون) وهما كلمتان وحروفهما أكثر؟

قلت: حين قال هنا (ذا النون) فإنَّه ذكر سيدنا يونس عليه السلام مع حوته فكأنه صور لنا سيدنا يونس وهو في بطن الحوت باختصار، بلفظتين ولم تَعُدْ هناك حاجة إلى التصريح بذكر الحوت، بخلاف ما لو قيل: (يونس) فإنَّه اسم علم مجرد من المعاني الأخرى.

– **والاخر**: أنَّ سياق الآيات كان يتركز في ذكر ما أصاب الأنبياء من الابتلاءات والاختبارات، منها قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٧٤]. فذكر ابتلاء زكريا وهو عدم وجود الذرية، وحين ذكر مريم لم يزد على أن قال: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٧٥]، فذكر اختباره لمريم حين جعلها تلد من غير زوج، وغير ذلك كالخصمين اللذين قصدا داود، ثم أفتى لهما سليمان، وابتلاء أيوب بالمرض الجلدي، وصبر إدريس وإسماعيل وذي الكفل، فناسب بعد أن ذكر ما يخصُّ كلَّ نبيٍّ أن يذكر ما يخص يونس عليه السلام وهو الحوت.

الاسمُ الثالث- صَاحبُ الحُوتِ.

وقد أشار القرآن الكريم إلى سيدنا يونس عليه السلام في موضع آخر بلفظ آخر، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٧٦]، فسمَّاه صاحب الحوت، قال الزركشي: }وسمَّاه هنا ذا النون، والمعنى واحد ولكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالين وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنّه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: (ذا النون) ولم يقل: (صاحب الحوت)، ولفظ (النون) أَشرف؛ لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء في أوائل السور، نحو: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾[٧٧]، وقد قيل: إنَّ هذا قسمٌ بالنون والقلم، وإنْ لم يكن حتماً فقد عظمه بعطف المقسم به عليه وهو القلم. وهذا الاشتراكُ يُشَرِّف هذا الاسم، وليس في الاسم، وليس في اللفظ الآخر هو الحوت

ما شرفه، فَالْتَفِتْ إلى تنزيل الكلام في الآيتين يَلُحْ لك ما أشرت إليه في هذا، فإنَّ التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترضﮊ[٧٨].

وقال السهيلي: }والإضافة لذي، أَشرف من الإضافة لصاحب؛ لأَنَّ قولك ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ، ولا تقول النبيُّ صاحب أبي هريرة إلا على جهة ما، وإما ذو فانّك تقول فيها ذو مال، وذو العرش فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع؛ ولذلك سميت أقيال حمير بالأذواء، نحو قولهم: ذو جدن، ذو يزن، وفي الإسلام أيضاً: ذو العين، وذو الشهادتين، وذو السماكين، وذو اليدين، هذا كله تفخيم للشيء، وليس ذلك في لفظة صاحبﮊ[٧٩].

وأنا أميل إلى هذا التوجيه فالسياق في سورة الأنبياء فيه تصريح بمدح سيدنا يونس عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا ثناء عظيم من الله تعالى، وهو يتضمن بيان سبب الإنجاء، في حين لا نجد ذلك في سورة القلم، بل نجد فيها نهياً لنبينا محمد ﷺ عن أن يكون مثل سيدنا يونس عليه السلام حين عيل صبره ونفد من عدم إيمان قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٨٠].

ولا يُفهم من ذلك أنَّ في الآية ذمَّاً لسيدنا يونس عليه السلام- حاشا لله- وإنَّما هو حثٌّ لسيدنا محمد ﷺ على أن يكون مرتقياً من كلّ مرتبة أعلاها؛ لأنَّ ذلك هو ما يتناسب مع منزلته العظمى إذ هو أعلى النبيّين رُتبةً.

المبحث الرابع
ذو الكِفل وإلياسُ

الاسم الأول- ذُو الكِفْلِ.

قَالَ الفراء: }الكفل: الحظ. ومنه قوله: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾[٨١] معناه: نصيبينﮊ[٨٢].

وَقَالَ الزَّجَّاج: }الكفل في اللغة النصيب، أخِذَ من قولهم أكفَلْتَ البعيرَ إذا أدَرْتَ على سِنَامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه وإنما قيل له كفْل، واكْتُفِلَ البَعِيرُ؛ لأنه لم يُسْتَعْمَلْ الظهْرَ كله، إنما اسْتُعْمِل نَصيب من الظهر، ولم يستعمل كلهَ[٨٣].

وقال الزبيدي: }الكِفْلُ، بالكَسْرِ: الضَّعْفُ من الأَجْرِ والإِثْمِ، وعَمَّ بِهِ بعضُهُم، ويُقال: لَهُ كِفلانِ من الأَجْرِ، وَلَا يُقال: هَذَا كِفْلُ فُلانٍ، حتّى يكونَ قد هيَّأْتَ لغَيرِهُ مِثلَهُ كالنَّصيبِ، وَإِذا أَفْرَدْتَ فَلَا تَقُلْ كِفْلٌ وَلَا نصيبٌ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ من رَحْمَتِهِ أَي ضِعفَيْنِ. أَيضاً: النَّصيبُ، وبه فُسِّرَت الآيةُ أَيضاًَ[٨٤].

وقد ورد ذكر نبيّ الله ذي الكفل في موضعين:

- أحدهما: في قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٨٥].
- والآخر بقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[٨٦].

قال الْكِرْمَانِيِّ }قِيلَ هُوَ إِلْيَاسُ وَقِيلَ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ وَقِيلَ هُوَ نَبِيٌّ اسْمُهُ ذُو الْكِفْلِ وَقِيلَ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا تَكَفَّلَ بِأُمُورٍ فَوَفَّى بِهَاَ[٨٧].

وقال أبو حيّان الأندلسي: }وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُوَ نَبِيٌّ فَقِيلَ: هُوَ إِلْيَاسُ. وَقِيلَ: زَكَرِيَّا. وَقِيلَ: يُوشَعُ، وَالْكِفْلُ النَّصِيبُ وَالْحَظُّ أَيْ ذُو الْحَظِّ مِنَ اللَّهِ الْمَحْدُودِ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَقِيلَ: كَانَ لَهُ ضِعْفُ عَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانِهِ وَضِعْفُ ثَوَابِهِمْ. وَقِيلَ: فِي تَسْمِيَتِهِ ذَا الْكِفْلِ أَقْوَالٌ مُضْطَرِبَةٌ لَا تَصِحُّ[٨٨].

وقال ابن عادل: }اختلفوا في تسميته بهذا الاسم، فقال الحسن: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه، وضعف ثوابهم. وقال ابن عباس: إن نبياً من أنبياء بي إسرائيل آتاه الله الملك والنبوة ثم أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك، فاعرض الملك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا. وَوَفَى به، فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل. وعلى هذا فالمراد بالكفل هنا الكفالة، لأنه تكفل بأمور فوفى بهاَ[٨٩].

وعلى كل حال فإنَّ اسم ذا الكفل متضمن معنى الثناء؛ ولذلك فقد ذكر النخجواني أن معنى الآية: }وَاذكر ذَا الْكِفْلِ المتكفل بعبادة الله في عموم أوقاته وحالاته بحيث لا يشغله شاغل مطلقا عن توجهه ورجوعه نحو الحق، قيل: هو إلياسَ[٩٠].

والملاحظ أنَّ القرآن الكريم لا يذكر اسمَ ذي الكفل إلا في مواضع الثناء على الأنبياء وبيان أعظم أعمالهم التي نالوا بها "كفلاً" نصيباً عظيماً من كرم الله لهم ورفعه لمنازلهم وإعلائه درجاتهم؛ فاسم ذو الكفل متضمن الإيحاء إلى نصيبه من تلك الدرجات كما أن الآيات ذكرت نصيب من سواه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين، وبيان ذلك فيما يأتي:

أمّا الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٩١]، فقد وردت في سورة الأنبياء في سياق ثناء الله تعالى على أنبيائه وعباده الصالحين، ومن ذلك:

أ. سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد ذكر القرآن الكريم جداله لقومه وصبره على أذاهم ومحاولتهم قتله إيّاهُ حرقًا، ثم أردف ذلك كله بذكر ما ناله من نصيب من رحمة الله ومنها ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[٩٢].

ب. سيدنا لوط عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٩٣]، فانظر كيف ذكر ما آتاه الله من نصيب من الحكم والحكمة والعلم، ثم إنجائه له من القوم الظالمين، ثم نصيبه من رحمة الله حيث أدخله (في) رحمته؛ أي: جعله وسط رحمته، وجعل الرحمة ظرفًا ولوطٌ فيها فهي محيطة به من كلّ جانب، ولاشكّ أنَّ ذلك كفلٌ عظيمٌ من الكرم والرحمة.

ج. سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا

﴿ لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾[٩٤]، وانظر هنا كيف ذكر نصيب كل من النبيين: الأب والابن من الحكم والحكمة والعلم، وما آتاهما من نصيب دنيوي عظيم.

وغير ذلك من الأنبياء كإبراهيم وأيوب، كلٌّ هؤلاء ورد ذكرهم قبل ذكر ذي الكفل، ولم يقف ذلك الأسلوب القرآني عند ذكره فحسب بل استمرت الآيات تثني على الأنبياء، وممن ذكر بعده.

د. سيدنا زكريا عليه السلام ذكر نداءه لربه ودعاءه إياه بالولد، ثم أعقبها باستجابته له وغير ذلك مما ناله من نصيب من رحمة الله وكرمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[٩٥].

وبناء على ما مرّ يمكنني القول إنَّ القرآن الكريم حين سمَّاه ذا الكفل هنا فكأنه يريد القول: واذكر ذلك النبيّ، صاحب النصيب (ذو الكفل) الذي نال كفلاً- أي: نصيباً- عظيماً من رحمة الله وكرمه وجوده، فصار من عظمة ذلك النصيب الذي ناله كأنَّه مصاحباً وملازماً له على الدوام فهو لا ينفك عنه ولا يفارقه، وهو بالتأكيد جاء متناسقاً مع السياق الذي ذكر نصيب كلّ نبي من رحمة الله وكرمه.

ونعود الآن إلى الآية الثانية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[٩٦]، قال البقاعي: }ولمّا أتم الأمر بذكر الخليل وابنه عليهما السلام الذي لم يخرج من كنفه قط ونافلته المبشر به للتأسي بهم في صبرهم الدين وإن خالفهم، أتبعه ولده الذي أمر بالتجرد عنه مرة بالإسكان عند البيت الحرام ليصير أصلاً برأسه في أشرف البقاع، ومرة بالأمر بذبحه في تلك المشاعر الكرام، فصار ما أضيف إليه من الأحوال والأفعال من المناسك العظام عليه الصلاة والسلام، وأفرده بالذكر دلالة على أنه أصل عظيم برأسه من أصول الأئمة الأعلام، فقال: (واذكر إسماعيل)؛ أي: أباك وما صبر عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والإشراف على الموت في الله غير مرة وما صار إليه بعد ذلك البلاء من الفرج والرئاسة والذكر في هذه البلدة[٩٧]، ثمّ قال: }وذا الكفل؛ أي: النصيب العظيم بالوفاء بما يكفله من كل أمر عليّ، وعمل صالح زكي[٩٨].

إذن السياق هنا أيضاً في بيان ما ناله كل نبيّ من نصيب من الدرجات العُلى بعمله فناسب أن يذكر ذلك النبي بهذا الاسم الذي يحمل دلالات النصيب.

الاسم الثاني- إلْياسُ.

ممَّا مرّ يظهر أنَّ (ذا الكفل) أقرب إلى كونه وصفاً فهو يشير إلى صفة ذلك النبيّ، وإنَّ إلياس هو الاسم المعروف لذلك النبيّ الكريم.

قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٢م): }ذُكِرَ أَنَّهُ نبيٌّ، وأنّ هَذَا الاسمَ اسمٌ من أسماء العبرانية، كقولِهم: إِسْمَاعِيل وإسحاق والألف واللام منه، ولو جعلته عربيًا من الأَلْيَس فتجعله إفعالًا مثل الإخراج والإدخالِ لَجَرىَ{[٩٩].

وقال ابن دريد: }وإلياس بن مُضر زعم قوم من أهل اللُّغَة أَن اسْمه يأس وأدخلت الْألف وَاللَّام للتعريف. فَأَما تسميتهم إِلْيَاس فَهُوَ اسْم نَبِي زَعَمُوا وَالله أعلمَ{[١٠٠]، في حين قال الجوهري: }وإلياس: اسم عجمي، وقد سمت العرب به، وهو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنانَ{[١٠١]، ومضى ابن سيده في شرح هذا الاسم إلى أبعد من ذلك حين قال: }الْيَاسُ السِّلُّ، وإِلْيَاسُ بْن مُضَرَ مَعْروفٌ، وقولُ ابن أبي العاصِيَةِ السُّلَمِيِّ:

فَلَــوْ أنَّ داءَ اليَــاسِ بِــي فأعَــانَنِي ..... طَبِيــبٌ بــأرْواحِ العَقِيــقِ شَــفَانِيَا

قال ثعلب: دَاءُ الْيَاس يعني إِلْيَاس بن مُضَر كان أصابه السِّلُّ فكانت العرب تسمي السِّلَّ داءَ الْيَاسَ{[١٠٢].

وأنا أميل إلى قول الفراء فلعله أوسط الأقوال وأقربها إلى الصواب، ومنه أَخْلصُ إلى أنَّ هذه اللفظة أو هذا الاسم (إلياس) فضلاً عن كونه علماً على ذلك النبيّ سواء كان عبرانياً أم عربياً فإنّها تثير في الأذهان معاني اليأس، واليأس انقطاع الطمع من الشيء{[١٠٣].

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين:

- **أحدهما:** ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٠٤]، قال الفيروزآبادي: }وكان إلْياسُ من أَنبياء بنى إسرائيل، أرسل إلى قوم كانوا ببعْلَبَكَّ، وكانوا يعبدون صنماً سمَّوْه بَعْلاً. وبلغ قومُه في إيذائه وجفائه الغايةَ، وعاقبهم الله تعالى أَنواعاً من العقوبة، وكانوا يلْجؤون إلى إلْياس، فكان يسأَلُ الله لهم العفْو فيأتيهم الفَرجُ بدُعائه إلى أَن ملّ إلياسُ من أَذاهُمْ ونَقْضِ عهْدِهم، فتضرّع إلى الله تعالى وسأَله الخلاص من مُقاساتهِم فأَذِنَ له في مفارقَتِهم، وسلبه شهوةَ الطَّعام والشراب حتى يطَّبع كطَبْع المَلَك، فصار إنسيّاً مَلَكِيّاً أَرْضِيّاً سماوِيّاً، شرقيّاً غَرْبِيّاً، برِّيّاً، مثل أَخيه الخَضِرِ{[١٠٥]}.

ومن خلال تأمّل هذه الآيات يظهر لنا جلياً أنَّ القرآن الكريم قد ركَّز هنا على تكذيب قوم إلياس لدعوته ويأسه من إيمانهم ولذلك جاءه النصر[١٠٦]، وقد جاء القرآن بلفظ إلياس ليُلقي بظلال اليأس على المشهد العام، ويوحي للمتلقي به، فهي بخلاف الآيات التي ذكرت ذا الكفل حين ركَّزت على نصيب الأنبياء من الجزاء والدرجات العلى.

- **وأمَّا الموضع الآخر** فقوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١٠٧]، وهذه الآية وردت في سياق عدة آيات قسَّمت الأنبياء إلى مراتب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَ�ٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٠٨]، وجعلت إلياس في المرتبة الخامسة بحسب العمل الذي حصل به رفع الدرجات قال الرازي: }وَالْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ: الزُّهْدُ الشَّدِيدُ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الدُّنْيَا، وَتَرْكُ مُخَالَطَةِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي حَقِّ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ، وَلِهَذَا السَّبَبِ وَصَفَهُمُ اللَّه بِأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ{[١٠٩]}.

فهذه آيات تناولت بإيجاز مواكب دعوات الأنبياء، قال سيد قطب: }إنَّ الرسل الذين ذكرهم والذين أشار إليهم، هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان والنبوة- (والحكم) يجيء بمعنى الحكمة كما يجيء بمعنى السلطان كذلك- وكلا المعنيين محتمل في الآية. فهؤلاء الرسل أنزل الله على بعضهم الكتاب كالتوراة مع موسى، والزبور مع داود، والإنجيل مع عيسى. وبعضهم آتاه الله الحكم كداود وسليمان- وكلهم أوتي السلطان على معنى أنَّ ما معه من الدين هو حكم الله، وأنّ الدين الذي جاءوا به يحمل سلطان الله على

النفوس وعلى الأمور. فما أرسل الله الرسل إلا ليطاعوا، وما أنزل الكتاب إلا ليحكم بين الناس بالقسط، كما جاء في الآيات الأخرى. وكلهم أوتي الحكمة وأوتي النبوة.. وأولئك هم الذين وكلهم الله بدينه، يحملونه إلى الناس، ويقومون عليه، ويؤمنون به ويحفظونه.. فإذا كفر بالكتاب والحكم والنبوة مشركو العرب: (هؤلاء) فإنّ دين الله غني عنهم وهؤلاء الرهط الكرام والمؤمنون بهم هم حسب هذا الدين! إنها حقيقة قديمة امتدت شجرتها، وموكب موصول تماسكت حلقاته ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسول وآمن بها ويؤمن من يقسم الله له الهداية بما يعلمه من استحقاقه للهداية!.. وهو تقرير يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العصبة المسلمة- أياً كان عددها- إن هذه العصبة ليست وحدها. ليست مقطوعة من شجرة! إنها فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصول، موصولة أسبابه بالله وهداه... إن المؤمن الفرد، في أي أرض وفي أي جيل، قوي قوي، وكبير كبير، إنه من تلك الشجرة المتينة السامقة الضاربة الجذور في أعماق الفطرة البشرية وفي أعماق التاريخ الإنساني، وعضو من ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهداه منذ أقدم العصور[١١٠].

وممَّا مر يظهر لي بما أنَّ السياق هنا في سرد أسماء الأنبياء فكان لابد أن يذكر إلياس باسمه المعروف ليتميز به من سواه، وليس السياق هنا في ذكر شيء من تفاصيل دعوة كلّ نبيّ كما في الموضع الأول أو مدحه منفرداً، فالتركيز هنا في ذكر صفات كلّ مجموعة منهم فكان لابد من ذكر كلّ واحد باسمه فذكر سيدنا عيسى عليه السلام باسمه ولم يقل المسيح، كما ذكر سيدنا يونس عليه السلام باسمه ولم يقل: ذو النون، أو صاحب الحوت.

الخاتمة وأهمُّ النتائج

- ظهر أنَّ القرآنَ الكريمَ- وإنْ كان قد استعمل اسم (أَحْمَد) مرةً واحدةً-، فإنَّه جاء في سياق تفضيل سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ على سيِّدنا عيسى عليه السلام، وغيره من الأنبياء، وفي سياق البشارة الذي يتطلَّب بدوره ذِكْرَ أَعْظَمِ صفاتِ المُبَشَّرِ به؛ وذلك لدلالة اسم (أَحْمَد) بمادَّته اللغوية على التفضيل، في حين يورد القرآنُ الكريمُ اسم (مُحَمَّدٍ) حين يكون الكلام في سياق تعظيمه ﷺ أكمل تعظيم، وبيان صفاته العظيمة، أو في بيان عظمة أصحابه ﷺ؛

لأنَّ المدح للتابع مدحٌ للمتبوع، أو حين يكون الكلامُ في الأحوال الشخصية التي تستوجب تسمية الأشياء بمسمياتها.

- واتضح أنَّهُ يورد اسم (عيسى) منفرداً- غالباً- إمّا في سياق سرد أسماء الأنبياء، أو ليتميز باسمه عمَّن سواه، في حين يقول (عيسى ابن مريم) عند الثناء عليه وبيان معجزاته العظيمة للإشارة إلى أنَّ أصل وجوده وكونه- ابن مريم- بحدِّ ذاته معجزة، أو عند الرَّدَّ على من عبدوه؛ ليؤكد لهم أنَّه مولودٌ والرب لا يولد، وإذا ذكر المسيح فإنَّه يكون في مقام الثناء وتصحيح العقيدة.
- وخلصتُ إلى أنَّ القرآن الكريم يذكر اسم (يونس عليه السلام) أمَّا في سياق ذكر دعوته ليتميز باسمه عن غيره، أو في سياق سرد أسماء الأنبياء، في حين يقول: (ذو النون) في مقام الاختصار؛ لأنَّ هذا الاسم فيه إشارة إلى نبيَّ الله يونس عليه السلام والى حادثة الحوت.
- وتبين لي أنَّ اسم إلياس يرد إمَّا في سياق سرد أسماء الأنبياء، أو في سياق ذكر إياس الأنبياء عليهم السلام من إيمان أقوامهم، في حين ورد اسم ذي الكفل في سياق ذكر نصيب كل نبيّ وَكِفْلَهُ من رحمة الله وكرمه؛ وللإشارة أيضاً إلى ما ناله ذلك النبيّ الكريم من نصيبٍ من رحمة الله تعالى باختصار؛ لأنّ اسمه حينئذ سيتضمن الإشارة إلى مُسَمَّاهُ ونصيبه في الوقت ذاته.

هوامش البحث

* القروم: الفحول من أهل الأدب. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: مادة (قرم): ١٥٨/٥.

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٣٩/١.

(٢) العين: مادة (حمد): ١٨٩/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت: ٦١/١.

[٤] ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ٥٥٨/٦.

[٥] تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م: ٢٦٣.

[٦] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء): أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م: ٢٢٩/١.

[٧] سورة الصف آية: ٦.

[٨] مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ١٠٠/٢.

[٩] معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت: ٥١٠هـ/١١١٧م)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ١٠٩/٨.

[١٠] المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت: ١٣١.

[١١] مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل بن عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: ٢٠٥/٣٩، رقم الحديث: ٢٣٧٨٨.

[١٢] سورة الصف الآيتان: ١٠– ١١.

[١٣] سورة الصف من الآية: ٩.

[١٤] سورة الصف من الآية: ١٤.

[١٥] سورة الصف آية: ٢.

[١٦] مقاييس اللغة: ١٠٠/٢.

[١٧] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ٤٠٧/١.

[١٨] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٠٥/٨.

[١٩] سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

[٢٠] أسباب النزول: أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م)، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م: ٨٣.

[٢١] الكشف والبيان: أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م: ١٧٧/٣.

[٢٢] سورة الأحزاب آية: ٤٠.

[٢٣] تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٣م)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ٢٠٦/٢٠.

[٢٤] تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد ابن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٧/ ١٠٦.

[٢٥] سورة الأحزاب الآية: ٣٧.

[٢٦] سورة محمد آية: ٢.

[٢٧] في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي (ت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ط٧، دار الشروق، بيروت– القاهرة، ١٤١٢هـ: ٣٢٧٨/٦.

[٢٨] المرجع نفسه: ٣٢٨١/٦.

[٢٩] سورة محمد الآيات ٤–٨.

[٣٠] سورة محمد آية: ١٢.

[٣١] سورة الفتح آية: ٢٩.

[٣٢] تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: ٣٦٠/٧.

[٣٣] المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣/١.

[٣٤] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٥٥٧/١.

[٣٥] العزف على أنوار الذكر: د.محمود توفيق محمد سعد، ط١، ١٤٢٤هـ: ٩٤.

[٣٦] بصائر ذوي التمييز: ١٤/٦.

[٣٧] العين: مادة (عيس): ٢٠١/٢-٢٠٢.

[٣٨] تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٩١هـ/١٢٩٢م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ: ١٧/٢.

[٣٩] اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: بعد ٨٨٠هـ/ بعد ١٤٧٥م)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م: ٢٦٣/٢.

[٤٠] سورة البقرة آية: ١٣٦؛ وأيضا: سورة آل عمران آية: ٨٤؛ وسورة النساء آية: ١٦٣؛ وسورة الأنعام آية: ٨٥، وسورة الشورى آية: ١٣.

[٤١] تفسير القرآن العظيم: ٤٤٨/١.

[٤٢] سورة آل عمران آية: ٥٢.

[٤٣] سورة آل عمران آية: ٤٩.

[٤٤] سورة آل عمران آية: ٥٩.

[٤٥] أسباب النزول للواحدي: ٦٧.

[٤٦] سورة البقرة من الآية: ٢٥٣.

[٤٧] جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٣١٩/٢.

[٤٨] سورة المائدة آية: ١١٠.

[٤٩] سورة المائدة من الآية: ١١٢.

[٥٠] سورة المائدة من الآية: ١١٦.

[٥١] سورة مريم الآيتان: ٣٤- ٣٥.

[٥٢] الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ٣٣٧/١؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين احمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي، ط١، دار الصحابة، القاهرة، ١٩٩٢م: ١٤٨.

[٥٣] مقاييس اللغة: ٣٢٢/٥.

[٥٤] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي جار الله (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣٩٠/١.

[٥٥] القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م: (ساح): ٢٢٥.

[٥٦] سورة النساء، آية ١٧٢.

[٥٧] أسباب النزول للواحدي: ١٢٥.

[٥٨] تفسير الرازي (التفسير الكبير أو: مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي فخر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٩٣/١١.

[٥٩] سورة النساء من الآية: ١٥٧.

[٦٠] سورة المائدة آية: ١٧.

[٦١] سورة المائدة آية: ١٧.

[٦٢] سورة النساء من الآية: ١٥٧.

[٦٣] سورة النساء من الآية: ١٧١.

[٦٤] سورة الصافات الآيات: ١٣٩- ١٤٨.

[٦٥] سورة يونس آية: ٩٨.

[٦٦] في ظلال القرآن: ١٨٢١/٣.

[٦٧] سورة النساء آية: ١٦٣.

[٦٨] جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٤٠٠/٩.

[٦٩] سورة الأنبياء الآيتان: ٨٧- ٨٨.

[٧٠] المفردات في غريب القرآن: ٤٦٢/٢؛ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، تحقيق: احْمَد فَارس، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ: مادة (نون): ٤٢٧/١٣.

[٧١] في ظلال القرآن: ٢٣٩٣/٤.

[٧٢] سورة الأنبياء الآيتان: ٨٣- ٨٤.

[٧٣] سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٥- ٨٦.

[٧٤] سورة الأنبياء آية: ٨٩.

[٧٥] سورة الأنبياء آية: ٩١.

[٧٦] سورة القلم الآيتان: ٤٨- ٤٩.

[٧٧] سورة القلم آية: ١.

[٧٨] البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ: ٢٧٩/٤.

[٧٩] البرهان في علوم القرآن: ٢٧٩/٤.

[٨٠] سورة القلم الآيات: ٤٨- ٥٠.

[٨١] سورة الحديد من الآية: ٢٨.

[٨٢] معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٥٥م: ٢٨٠/١.

[٨٣] معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ/٩٢٣م)، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٨٥/٢.

[٨٤] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: مادة (كفل):٣٣٢/٣٠.

[٨٥] سورة الأنبياء آية: ٨٥.

[٨٦] سورة ص آية: ٤٨.

[٨٧] غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني تاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ/ نحو ١١١٠م)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ٧٤٥/٢.

[٨٨] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٤٦١/٧.

[٨٩] اللباب في علوم الكتاب: ٥٧٥/١٣.

[٩٠] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت:٩٢٠هـ/١٥١٤م)، ط١، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٥٤٠/١.

[٩١] سورة الأنبياء الآيتان: ٨٥- ٨٦.

[٩٢] سورة الأنبياء الآيتان: ٧٢- ٧٣.

[٩٣] سورة الأنبياء الآيتان: ٧٤- ٧٥.

[٩٤] سورة الأنبياء الآيات: ٧٨- ٨٢.

[٩٥] سورة الأنبياء الآيتان: ٨٩-٩٠.

[٩٦] سورة ص آية: ٤٨.

[٩٧] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م :٣٩٣/٦.

[٩٨] المصدر نفسه: ٣٩٣/٦.

[٩٩] معاني القرآن للفراء: ٣٩١/٢.

[١٠٠] جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م: مادة (يأس): ٢٣٩/١.

[١٠١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: مادة (يئس): ٩٠٤/٣.

[١٠٢] المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: مادة (يوس): ٨/ ٦٤٢.

[١٠٣] معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)، ١٤١٢هـ: ٤٣٦.

[١٠٤] سورة الصافات الآيات: ١٢٣- ١٣٢.

[١٠٥] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٧٨/٦.

[١٠٦] لقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ نصر الله يأتي عند تقارب اليأس لدى الأنبياء، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة يوسف آية: ١١٠.

[١٠٧] سورة الأنعام آية: ٨٥.

[١٠٨] سورة الأنعام الآيات: ٨٣-٨٦.

(١٠٩) مفاتيح الغيب: ٥٤/١٣.

(١١٠) في ظلال القرآن: ١١٤٤/٢.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

أولاً: المصادر.

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أسباب النزول: أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م)، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٩١هـ/١٢٩٢م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
٨. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٩. التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين احمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي، ط١، دار الصحابة، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٠. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٢. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
١٣. جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٣م)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٤. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
١٥. دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٦. الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٧. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ﷺ: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء): أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٠. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢١. غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني تاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ/ نحو ١١١٠م)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٣. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، ط١، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٢٤. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي جار الله (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. الكشف والبيان: أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٢٧. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: بعد ٨٨٠هـ/ بعد ١٤٧٥م)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.
٢٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، تحقيق: احْمَد فَارس، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٩. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل بن عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣١. معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء (ت: ٥١٠هـ/١١١٧م)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٣٢. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٥٥م.

٣٣. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ/٩٢٣م)، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٣٤. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)، ١٤١٢هـ.
٣٥. مفاتيح الغيب: أو التفسير الكبير (تفسير الرازي): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي فخر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٣٧. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م): تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ثانياً: المراجع.

٣٩. العزف على أنوار الذكر: د.محمود توفيق محمد سعد، ط١، ١٤٢٤هـ.
٤٠. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي (ت: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ط١٧، دار الشروق، بيروت– القاهرة، ١٤١٢هـ.